زيتون
الرقة
سياسية ثقافية نصف شهرية مستقلة | السنة الثالثة | العدد 112 | 15 | تموز 2015
www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com

هل للإرهاب دين؟!

النظام السوري وتنظيم داعش يتغازلان

مقاتلو المعارضة باتوا على أبواب حلب الغربية

قتل الشعب السوري مسألة فنية!

السلاح.. الى أين؟!

ثقافة التخلف وتخلف الثقافة

انفجارات البوشار.. ومابعد العبث

الفنان عنايت عطار.. يرسم بالبقع اللونية

صورة الغلاف لأحد نشطاء حملة الرقة تذبح بصمت قبل اعدامه من قبل داعش في الرقة

هل للإرهاب "دين" ؟!

مروان محمد

الإرهاب لا دين له، وهو موجود بالفعل وحقيقي ويمارس على مدار الساعة في كل أصقاع الأرض، لكن الاجتهاد سيكون على سبب كون السمة الإسلامية هي الغالبة لدى الدوائر الغربية بالعموم، والأمريكية منها على وجه الخصوص، كذلك آليات المواجهة المتّبعة على هذا الأساس.

مع الإشارة إلى أن الأنظمة الاستبدادية، واللاديمقراطية –وحتى التي توصف بالديمقراطية- في منطقتنا العربية، تسير جميعها في نفس الركب، بقصد أو من دونه.

(بداية وتجنبا لأي سوء فهم، موضوعي لا علاقة له بالدين كمعتقد محدد لبشر معينين، من حيث المبدأ. خاصة في هذا الوقت المزدحم بشعارات ومقولات عدائية وملتبسة، في/ومن كل الاتجاهات).

الظاهرة التي تشغل بال العالم اليوم، والتي طغت على كل ما عداها، هي ما يُعرف بإرهاب تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، والذي خرج عن بيت الطاعة لتنظيم القاعدة، وزايد عليها في فكره التكفيري، وفاقها بأشواط في سلوكه وتعبيره عن الغضب والعنف الوحشيين ضد كل من هو خارج «تنظيم الدولة» فكرا وانتماء، بلا أي وازع إنساني أو ديني.

طبعا موضوعة التطرف والإرهاب بكل صنوفه ومشاربه هي حاضرة لدى أغلب دول وحكومات العالم، بشرقه وغربه على السواء، دراسة وبحثا ومكافحة.

لكن إرهاب «تنظيم الدولة» فرض نفسه على قائمة المجابهة المباشرة والملحة ضد الجميع. وهذا ما استدعى تشكيل تحالف دولي بقيادة الولايات المتحدة لمحاربته، في «عقر داره» وفي العالم أجمع.

(مع الاحتفاظ بنقد الفهم الأمريكي المبتسر والانتقائي، ولسلوك «راعي البقر» المتراوح بين الشدة الهوجاء والرخاوة المشبوهة، لآليات المواجهة مع هذا التنظيم الإرهابي، بل مع كل ظاهرة الإرهاب على وجه العموم).

هنا كلام لن يرضي الكثيرين على ما أعتقد، قد أخطئ وقد أصيب، لكنها قراءتي للأمر في كل الأحوال.

المشهد هو كذلك: الذين يصنفون اليوم بأنهم إرهابيون، هم في أغلبيتهم المطلقة من المسلمين، ومن السنّة تحديدا. كون الذين قاموا بالأعمال الإرهابية ضد الغربيين عموما، وضد الأمريكيين على وجه الخصوص، كانوا من المسلمين السنّة. هكذا بكل بساطة، وبعيدا عن عقلية المؤامرة والتخطيط المسبق من قبل الأمريكيين الكفار والغرب المسيحي المنحلّ.

طبعا هذا التفسير البسيط لن يرضي الكثيرين، بل ربما لن يرضي الغالبية من المهتمين بهذا الشأن. وهذا من حقهم. مع الإشارة إلى أننا لا نغفل دور مصالح الدول بالعموم -والولايات المتحدة على الخصوص- ولا دور أجهزتها الأمنية في رعاية وتغذية مثل هكذا ظواهر متطرفة في لحظة تاريخية معينة-فكرا وتنظيما وارهابا لأهداف خبيثة من طالبان الإسلامية «السنّية» إلى بعض الحركات اليسارية الماركسية المسلحة في أمريكا اللاتينية، لكنه ليس موضوعنا هنا.

(طبعا هؤلاء الارهابيون الذين ينتمون إلى مذهب «السنّة» أرهبوا وقتلوا من الجميع، جميع من يخالفهم الرأي والسلوك، والملفت أن نصيب أبناء السنّة من أعمالهم الإرهابية هو الأكبر من غير شك. دون الدخول في لعبة التفسير المؤامراتي -ولا أقول المخابراتي!- لهذا الأمر).

بكل بساطة، لقد صادف أن مرتكبي أحداث أيلول هم مسلمون ومن السنّة تحديدا (طبعا لهذا الأمر أسباب كثيرة وتفاسير مختلفة، لكن دون الخوض فيه هنا، ولا تبريره أو قبوله) وقبلهم كانت قد وقعت حوادث إرهابية ضد الأمريكيين، في كينيا ونيروبي والصومال الخ، جميع الفاعلين كانوا من المسلمين السنّة.

إذا، قبل وبعد أحداث أيلول 2001 –ضمنا تفجيرات مدريد ولندن الخ- من يغطي المشهد الإرهابي العالمي، بغالبيته المطلقة، هم من المسلمين السنّة. بينما لم يبرز الإرهاب الشيعي-كظاهرة منظمة وموجهة وملموسة عالميا-على السطح إلّا مؤخرا وحديثا، خاصة خلال الثورة السورية-دون نسيان أعراضها الملموسة في الحرب الأهلية العراقية 2006-2007-. فيما ممارسو الإرهاب من مختلف القوميات والديانات والاثنيات الأخرى، لا يقارن في الحقل العالمي.

من هنا أصبح لدى المواطن الأمريكي (وبدرجة أقل الأوروبي) مركّب نفسي-عقلي، ضد هذا المسلم «السنّي» الذي لمس منه الأذى المباشر، وهو أذى حقيقي وملموس.

نعم يوصف السلوك الأمريكي في العديد من الأحيان بأنه وحشي وبربري! في الواقع، هذا الوصف لا يخلو من وجاهة في العديد من التدخلات العسكرية، على ما شاهدنا في أكثر من مكان.

لكن ليس كل الأمريكيين مهتمين، أو مستعدين للتفكر في أسباب هذه المواقف الكارهة لهم، أو حتى الاعتداء عليهم داخل بلدهم أو خارجه، وربطه بخطأ السلوك السياسي والعسكري لقيادتهم التي تتحكم بصنع القرار، مع آلة إعلامية جبارة مؤثرة في رأيه العام.

(كان لافتا السؤال الاستفهامي المستنكر الذي درج على ألسنة أغلب الأمريكيين: «لماذا يكرهوننا؟!» عقب هجمات أيلول الإرهابية 2001).

يجب معرفة أن الأمريكي لا يميز بين فرق ومذاهب المسلمين، ليس لأنه لا يعرفها فحسب، بل لا يهمه أن يعرفها أصلاً ولا يعنيه الأمر، فاهتماماته ومشاغله في مكان آخر، باستثناء قلّة مهتمة لأسباب ودوافع متنوعة وعديدة.

(في موضوعنا هذا، لا ندخل إرهاب الدول في التحليل).

والرأي الذي يقول بخلق حالة من التوازن السنّي الشيعي، هو رأي حديث جدا، ومحدود جدا، ولا ينبغي البناء عليه باعتباره « سياسة استراتيجية أمريكية» متبناة -فضلا عن اعتباره رؤية غربية-. فهذا الرأي لا يزال يتفاعل، طبعا لا شيء يمنع من أن يتطور إلى قناعة لدى صانع القرار الأمريكي، كما لدى الرأي العام الأمريكي بعمومه. لكنه يحتاج لعمل فكري ودعاوي أعمق وأطول مدى مما يجري الآن، حيث الصراع الميداني على الأرض ضد الخطر الداهم المتمثل بإرهاب تنظيم «الدولة الإسلامية» وبالحسابات السياسية الراهنة المتعلقة به، هي الحكم أولاً.

تجدر الإشارة إلى إن سلوك الاستخفاف بالآخرين من منطلق القوة والغطرسة الأمريكيين، أمر علينا أخذه بالحسبان في رفع منسوب العداء والرفض إلى حدود الانتقام من قبل التيار السني عموما، والسلفي الجهادي خصوصا مع إمكانية سحب هذا الموقف العدائي على آخرين من أديان وأعراق أخرى، لكن مع فارق مهم كما ونوعا.

(وهذا تناول ظاهراتي للموضوع أمّا على صعيد السيسيولوجيا، فالأمر أعقد من ذلك، وأعمق أثرا).

النظام السوري وتنظيم داعش يتغازلان والاتفاقيات باتت على العلن

حازم حسون

شهدت الفترة الأخيرة تطورات واضحة لجهة علاقة النظام بتنظيم الدولة الإسلامية، هذه العلاقات وإن كانت غير واضحة في السابق إلا أنها باتت اليوم مكشوفة بحكم وجود مبادرات واتفاقيات مشتركة لها مفاعيل على الأرض، وبالرغم من حديث النظام عن «عفافه» وكرهه العميق للتنظيم، إلا أن الوقائع تثبت أن زواجاً غير شرعياً حدث في عدة مناطق سوريا، وكانت نتيجته تعزيز العلاقات الأسدية الداعشية فوق الفراش.

في اليرموك تصافح الطرفان

تبدو اتفاقية «تحييد مخيم اليرموك» المعلن عنها سابقاً الوجه الأبرز من اتفاقيات النظام مع التنظيم، حيث أرسل النظام وفداً مكون من محمد عليّان مندوب فرع فلسطين وعدنان إبراهيم أمين سر حركة فتح في سوريا إلى المخيم، محملين برسالة «محبة وسلام» وفتح صفحة جديدة.

ومع علم النظام بأن الجهة المسيطرة على المخيم الآن هي تنظيم الدولة الإسلامية إلا أنه أصر على ما أسماه بـ «إعادة إحياء مبادرة تحييد المخيم».

الناشط مطر إسماعيل من دمشق عقب على الحادثة بالقول «أيعني هذا العهر والعري" شيئاً غير ما تقوله المقولة الشهيرة «حلال علينا حرام عليكم» بما معناه أن تنظيم الدولة كان ليقتل من صافح النظام فكيف هو يصافحه أصلاً؟.

محمود القدسي، ناشط سياسي يقول «للأسف كل اتفاقيات ما يسمى بالمصالحات صبت بصالح النظام لأنه لا يستطيع أبداً تقبل الرأي الآخر، أما بخصوص المخيم فالنظام استطاع بسبب خبثه أن يتفق مع التنظيم، وهي الرسالة التي يجب أن يفهمها كل الناس، النظام لا يعرف أي شيء سوى مصلحته ومن مصلحته أن يكون هنالك علاقات طيبة مع التنظيم، هذا إذا لم نقل أن هنالك علاقات منذ بداية نشوء داعش».

التنظيم يهرب شبيحة من سجونه في تدمر

تبقى مدينة تدمر القصة الأكثر مأساوية طالما أن المدنيين المقدر عددهم بما يقارب ال100 ألف نسمة يواجهون خيارات صعبة جداً، بين إعدامات داعش وسطوته، وقصف طيران النظام لمنازلهم، وتركهم للمدينة باتجاه الصحراء المجهولة.

فيما أظهر التنظيم فيديو لإعدام مجموعة من جنود النظام تمكن تنظيم الدولة من القبض عليهم، لكن الإعدام الجماعي أخفى خلفه اتفاقاً لتهريب أكثر مساجين النظام شراً.

نشطاء مدينة تدمر قالوا عن حادثة تهريب المساجين «تمكن ثلاثة مساجين من الهروب من سجن داعش في القصر العدلي بتدمر وهم من أخطر وأقذر الشخصيات القيادية في اللجان الشعبية والدفاع الوطني سابقاً، ولم يتم العثور عليهم حتى اللحظة».

لكن أردف أحد النشطاء بقوله «لن يتمكن أحد من إقناعي بأن العملية تمت من دون تنسيق «وختم»، ارحموا عقول البشر يا بقر».

أشرف المحيميد، الناشط الإعلامي من ريف حمص يقول «في هذه الحالة النظام اختار أكثر الأشخاص من مؤيديه وشبيحته في سجون داعش ويتفاوض عليهم، مقابل مبالغ ضخمة تصل إلى 10 ملايين ليرة سورية للشخص الواحد أو تبادل مقاتلين من داعش مع مقاتليه، أما الحالة الأهم وهي تنازله عن منطقة معينة لصالح التنظيم».

في دير الزور والرقة طريقة السرقة واحدة

مقابل ضربات التحالف الدولي التي انهالت على الرقة ودير الزور في اعنف ضربات وجهها التحالف للتنظيم ـ كما قالت وسائل الإعلام غربية ـ تبدو تصرفات عناصر تنظيم الدولة وشبيحة النظام واحدة.

أبو رضوان، 28 عاماً، من مدينة الرقة يقول «سألت أحد قادة التنظيم عن سبب عدم إستهداف قوات التحالف أو طيران النظام لقيادات التنظيم، فأجاب بأنه يتضرع طوال الليل حتى يبقى محمياً، فسألت في قلبي ولماذا لا تتضرع لباقي الناس الذين يموتون بسبب القصف».

ممارسات كثيرة لعناصر تنظيم الدولة الإسلامية مشابهة كثيراً لما يقوم به النظام، وخصوصاً من ناحية التعفيش وسرقة الناس والمنازل ـ كما يقول مواطنون من الرقة ودير الزور ـ ولا يستغرب أحد أن يكون الطرفين من مدرسة واحدة.

أبو منصور، 36 عاماً، محامي من دير الزور مقيم خارج سوريا حالياً «الاتفاقات واضحة جداً، فالتنظيم الذي يعتبر النظام ومن ينتمي إليه كافر يستورد مواد كثيرة من مناطقه».

ويردف «حتى فيما يخص تجارة الآثار، تجد هنالك عناصر من داعش و شبيحة من النظام يبيعون ويشترون من بعضهم ليتاجروا فيها خارج البلاد».

حالات كثيرة ذكرها مواطنون من مناطق سورية كثيرة لا تعني أن تنظيم داعش والنظام مع شبيحته في خلاف كما يظهر، وإنما توحي بأن هنالك تعايشاً يصل إلى الحميمية، أكثر الخاسرين فيه هو الشعب السوري.

مقاتلو المعارضة يطرقون أبواب حلب الغربية

تحرير زيتون

سيطرت كتائب من الجيش الحر في غرفة عمليات فتح حلب يوم الجمعة 3 تموز 2015 على مبنى البحوث العلمية غرب حلب، والذي كان النظام سابقاً يستخدمه لتطوير الأسلحة القديمة ومن أجل الأبحاث العسكرية، إلى أن حوله ثكنة عسكرية، تضم ما يقارب 500 مقاتل معظمهم من مقاتلي حزب اللّه اللبناني والمليشيات العراقية الداعمة لقوات النظام، ويعد المبنى إحدى بوابات الغربية لمدينة حلب، وخط الدفاع الأول عنها والسيطرة عليه لها زمزيتها وبعدها المعنوي، يخفف قليلاً من هول الخسائر الكبيرة التي مني فيها الجيش الحر المشارك في غرفة عمليات أنصار الشريعة، التي أعلنت عن نفسها لتحرير مدينة حلب عموما وحي جمعية الزهراء شمال غرب حلب خصوصا.

عملية السيطرة على مبنى البحوث العملية لم تستمر أكثر من 24 ساعة، حيث تهاوت التحصينات التي وضعتها قوات النظام على أسوار المبنى، والذي يقع على بقعة جغرافية كبيرة ومرتفعة غرب حلب، كما كان لصواريخ تاو الأمريكية دوراً كبيراً في المعركة، حيث استطاعت الكتيبة المسؤولة عن هذه الصواريخ من تحييد السلاح الثقيل لقوات النظام، ودمرت له أكثر من أربع دبابات ومدفعين ورشاش ثقيل ورشاش متوسط بالإضافة لتدمير دبابتين ورشاش ثقيل كان النظام قد تمركز بهم في الحي الغربي من حي حلب الجديدة، ومن ثم بدأت بعدها مجموعات الاقتحام بالتقدم والدخول داخل أسوار المبنى، ودارت اشتباكات عنيفة استمرت لعدة ساعات داخل أسوار المركز، ترافق مع قصف جوي عنيف على المنطقة من قبل الطيران الحربي والمروحي، ومع إرادة الجيش الحر الثبات في المنطقة ومحاولة التقدم أكثر، وبسبب خسائر قوات النظام الكبيرة في العتاد والأرواح، أضطرت للانسحاب الى داخل حي حلب الجديدة، مخلفةً عدداً من الجثث و عنصرين أثنين تمكن الجيش الحر من أسرهما، كما غنم الجيش الحر عدداً من الصواريخ والمقذوفات للأسلحة الثقيلة، كانت قوات النظام كدستها لعناصرها لقصف حي الراشدين وبلدة المنصورة القريبات من المبنى، ولقصف الطرق الرئيسية بين الريف الجنوبي والغربي في محيط المنطقة.

و تضم الثكنة خمسة مبان محاطة بأرض زراعية مسورة على مساحة تقدر بكيلومتر مربع واحد، وتعد مركزا لتطوير وإنتاج القطع الحربية والتعديل على الأسلحة والآلات العسكرية، لكن قوات النظام حولتها -كما فعلت مع غيرها من المواقع- إلى ثكنة عسكرية تتجمع فيها قواته وعدد من الآليات الثقيلة، وتسهل السيطرة عليها من الوصول إلى حي حلب الجديدة الذي يعد أحد أهم الأحياء التي يسيطر عليها النظام ويتواجد فيه فرع الأمن العسكري وعدد كبير من النقاط والحواجز العسكرية ويقطنه الكثير من قادة النظام العسكريين، ويفتح الطريق أمام الثوار بالوصول إلى المتحلق الغربي وفصل حي الحمدانية عن مركز المدينة، الأمر الذي جعل النظام يدافع عن المنطقة بشراسة وقصف المنقطة بأكثر من 100 برميل متفجر وعشرات الصواريخ أرض – أرض وأكثر من 100 غارة من الطيران الحربي، دون أن ينجح بالحفاظ عليها.

كما شنت قوات النظام عدة محاولات لاستعاد السيطرة على المنطقة، لكن الجيش الحر وقف سداً منيعاً بوجه هذ المحاولات، رغم القصف العنيف على تمركزات الجيش الحر، تخللها قصف بالبراميل المتفجرة التي تحوي غاز الكلور السام، ما أدى لوقوع عدد من حالات الاختناق بين مقاتلي الجيش الحر، الذي كانوا قد جهزوا مسبقاً الأقنعة الواقية، بعد وصول معلومات استخباراتية عن نية النظام استخدام غاز الكلور لدعم قواته على الأرض، ما جعل هذه القوات تتقدم بقوة كبيرة لتقع بكمين محكم لكتائب الجيش الحر، ما أدى لمقتل وجرح معظم عناصر مجموعات الاقتحام التي أرسلها النظام.

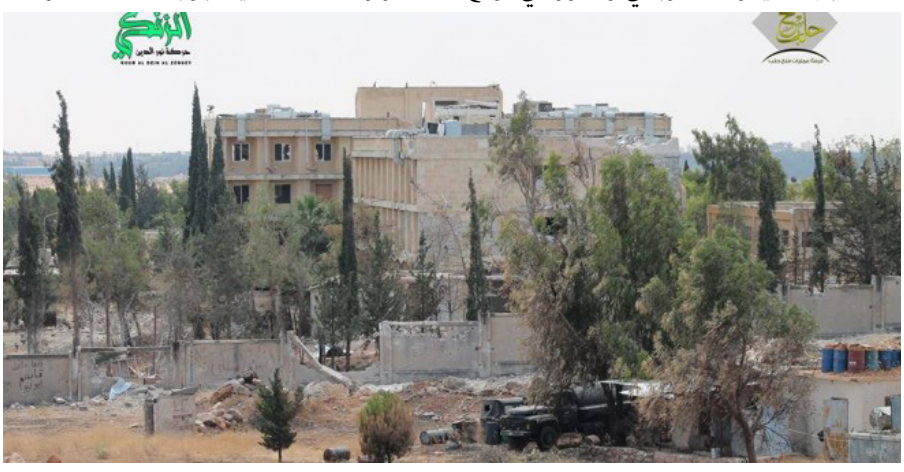

الإعلان عن أنصار الشريعة لتحرير حلب، وتوقف معركتها بعد ساعات

من جهة أخرى أعلن يوم الخميس 2 تموز 2015 ثلاثة عشر فصيلا إسلاميا و مقاتلاً في مدينة حلب، عن تشكيل غرفة عمليات «أنصار الشريعة»، بهدف توحيد جهود كافة الفصائل من أجل تحرير مدينة حلب، وريفها بالكامل، من قوات النظام السوري.

وفي تسجيل مصور، اجتمع عدد من ممثلي الفصائل لإعلان البيان التأسيسي الأول لـ «أنصار الشريعة»، حيث قال أحد المتحدثين: «إننا نصرة للمسلمين من أهل حلب، وثأرا للمستضعفين من النساء والأطفال الذين انتهكت حرماتهم، وسفكت دماءهم دون سبب، نعلن تشكيلة غرفة عمليات أنصار الشريعة لفتح حلب، وريفها، والمكونة من الفصائل التالية:

جبهة النصرة، حركة أحرار الشام الإسلامية، جبهة أنصار الدين، حركة مجاهدي الإسلام، أنصار الخلافة، كتيبة التوحيد والجهاد، الفوج الأول، كتائب أبو عمارة، كتائب فجر الخلافة، سرايا الميعاد، كتيبة الصحابة، جند اللّه، ولواء السلطان مراد».

وأوضحت غرفة عمليات «أنصار الشريعة» أنها تسعى لوضع ميثاق حكم مشترك ينبثق من أحكام الشريعة الإسلامية، رفقة جميع فصائل حلب بعد تحريرها، وفقا للمتحدث في الفيديو.

ويأتي إعلان «أنصار الشريعة» بعد شهرين من إعلان «غرفة عمليات فتح حلب»، والتي لم تثمر عن أي إنجازات، رغم تشكيلها من قبل اثنين وثلاثين فصيلا، تتقدمهم «أحرار الشام»، و «الجبهة الشامية»، بالإضافة إلى أربعة فصائل شاركت الآن في غرفة عمليات «أنصار الشريعة».

الى أن غرفة أنصار الشريعة تكبدت خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد، بعد إعلانها عن معركة بدء تحرير حي جمعية الزهراء، وذلك بعد فشلها من التقدم في مناطق جديدة من الحي الذي يقع شمال غرب حلب، ويعد بوابة الدخول للأحياء الخاضعة لسيطرة النظام غرب حلب، وأستشهد ما لا يقل عن 40 مقاتلاً بعد وقوعهم بكمين لقوات النظام بالقرب مدرسة الطبري، حيث حوصرت مجموعة من 50 مقاتلا استشهد معظمهم وأسر 3 أخريين، وشهدت المعركة قصفاً جوياً عنيفاً من قبل طائرات النظام المروحية والحربية، على مناطق سيطرة «أنصار الشريعة» الذين قصفوا مناطق سيطرة النظام بأكثر من 400 قذيفة.

واتهم نشطاء القادة العسكريين بالتقصير مع المجموعة التي حوصرت من قبل قوات النظام، وحملوا القادة المسؤولية عن استشهاد وأسر كامل عناصر المجموعة، نتيجة التخطيط الفاشل وقلة الدعم المناسب لذلك القطاع الذي استطاع مقاتلوه الاقتحام والتقدم ليجدوا أنفسهم محاصرين، مما أدى لوقف العملية المعلنة في حي جمعية الزهراء، بعد تقدم طفيف في محيط الحي من جهة كتيبة المدفعية، حيث سيطرت فصائل من غرفة عمليات فتح حلب التي شاركت في المعركة، على منطقتي الخزانات وبيوت مهنا بالقرب من الكتيبة.

وفي 6 تموز 2015 سمع دوي انفجار شديد في عدة أحياء بغرب مدينة حلب، تبين أنه ناجم عن تفجير مقاتل من جبهة النصرة لنفسه بعربة مفخخة أمام دار الأيتام الذي كانت تتحصن فيه قوات النظام والمسلحون الموالون لها والواقع في حي جمعية الزهراء شمال غرب حلب، عقبها اشتباكات عنيفة بين مقاتلي غرفتي عمليات أنصار الشريعة وفتح حلب من طرف، وقوات النظام والمسلحين الموالين لها من طرف آخر، ما أدى لمقتل ما لا يقل عن 25 من عناصر قوات النظام والمسلحين الموالين لها وإصابة آخرين بجراح، ترافقت مع قصف مكثف من قبل الفصائل المهاجمة على مناطق في الحي، بعشرات القذائف الصاروخية والقذائف محلية الصنع، بالإضافة لقصف من قوات النظام بصواريخ يعتقد أنها من نوع أرض – أرض، وقصف للطيران الحربي على تمركزات وتجمعات المقاتلين في حي جمعية الزهراء، دون إحراز أي تقدم يذكر، الأمر الذي عزاه البعض لأتباع قوات النظام استراتيجية تشبه الى حد كبير تلك التي يقوم تنظيم الدولة بتنفيذها، وذلك عن طريق تفخيخ المباني التي يتحصن بها مقاتلوه والانسحاب منها وتفجيرها بمن يقوم باقتحامها.

قتل الشعب السوري مسألة فنية والعالم يتفرج

محمد علاء

تتعرض مدينة حلب وريفها، بشكل يومي لقصف جوي عنيف من طائرات النظام الحربية المروحية، مستهدفة المدنيين أثناء سحورهم وإفطارهم، مخلفةً المئات بين شهيدٍ وجريح، دون أن تؤثر تلك الأخبار والمشاهد على الرأي العالمي «الإنساني» كون النظام يعتبر القصف بالبراميل المتفجرة بالمسألة الفنية، نعم بات قتل الأطفال والشيوخ بل عائلات بأكملها بالبراميل المتفجرة في سوريا عموماً وفي حلب خصوصاً مسألة فنية، والعالم «الإنساني» يقف متفرجاً كون آلة القتل تلك هي تعمل بطريقة فنية، ولا خطوط حمر عليها، فليمت كل السوريين، طالما طريقة موتهم فيها فن إجرامي، والعالم المتحضر الإنساني أحب هذا الفن وإعتاد عليه على مدار خمس سنوات من عمر ثورة الكرامة.

حيث رفض نظام بشار الأسد عن طريق سفير النظام حسام الدين قراراً لمجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة يستنكر فيها القصف الجوي الذي تمارسه طائرات النظام، واعتبر الأخير أن استخدام البراميل المتفجرة في سورية «مسألة فنية» لا شأن لمجلس الأمن بها.

مجازر النظام بحق أهالي مدينة حلب لا تتوقف، وتشارك الحلبيين افطارهم وسحورهم، وجميع طقوس هذا الشهر الفضيل، الذي أفل دون أن تستطع حرمته وكرمه من إيقاف شلال الدماء، عجز عن إيقافه العالم أجمع، حيث عمد الطيران المروحي على إلقاء براميل الإجرام على رؤوس أهالي مدينة حلب، بشكلٍ يومي مع وقت وجبة الإفطار، لينقل كثيراً من موائد الإفطار ومن حولها الى الجنة.

مدينة الباب بريف حلب الشرقي، والتي تخضع لسيطرة تنظيم الدولة، كان لها النصيب الأكبر من البراميل المتفجرة، والتي خلفت مئات الشهداء والجرحى، بينهم أطفال ونساء، حيث قام الطيران المروحي بألقاء البراميل المتفجرة على مناطق في بلدة تادف القريبة من مدينة الباب، يوم الأربعاء 15 تموز، ما أدى لاستشهاد خمس أطفال و امرأة ورجل، ليلحقوا بركب الشهداء الذين قضوا قبل أيام بقصفٍ بالبراميل المتفجرة على أحياء وأسواق مدينة الباب.

ففي يوم الثلاثاء كانت بلدة قباسين شرق مدينة الباب، على موعد مع القصف بأربعة براميل متفجرة، استهدف سوق البلدة، وخلف أكثر من 23 شهيداً وجريحاً، وبذات اليوم قصف الطيران المروحي مدينة الباب بحاويتين متفجرتين، دون أن تصيب أحد، كما سبق ذلك في الـ 13 من تموز، موعداً لاستشهاد 35 شخصاً، وجرح أكثر من 50 بينهم نساء وأطفال، جراء قصف من الطيران المروحي بالحاويات المتفجرة، مناطق في المدينة، وكان اليوم الذي قبله قد شهد استشهاد سبعة أشخاص بينهم أربعة أطفال، جلهم من النازحين الى مدينة الباب، جراء قصف بالبراميل المتفجرة أيضاً، و أستشهد أكثر من 29 شخصاً وأصيب 40 أخرين، جراء القاء الطيران المروحي أربع حاويات متفجرة على سوق المدينة وتجمع لسائقي شاحنات، وذلك يوم 11 من تموز، **ليكون هذا الشهر هو الأكثر دموية على أهالي مدينة الباب، في ظل تخاذل كبير من تنظيم الدولة، الذي دائما ما يتشدق مقاتليه بالتمكين، وبإقامة شرع الله، الذي لا يرضى عن كل هذه الدماء، فعن أي تمكين وشرع يتكلمون؟، وهم المرابطين والوحيدين الذين تصل نيرانهم إلى مركز تصنيع تلك البراميل في معامل الدفاع على جبال الواحة قرب مدينة السفيرة بريف حلب الشرقي، دون ان يحركوا ساكنين، وهم المتهمكون بجمع أموال الزكاة وملاحقة المفطرين والذين يحلقون ذقونهم ويلبسون لباس من موضات الزمن الحالي، الذي لا يروق لمقاتلي التنظيم المتخلفين، كما انهم متهمكون بمحاربة «المرتدين والصحوات» بريف حلب الشمالي «علما ان المرتدين والصحوات لا براميل متفجرة ولا طائرات يملكون»**.

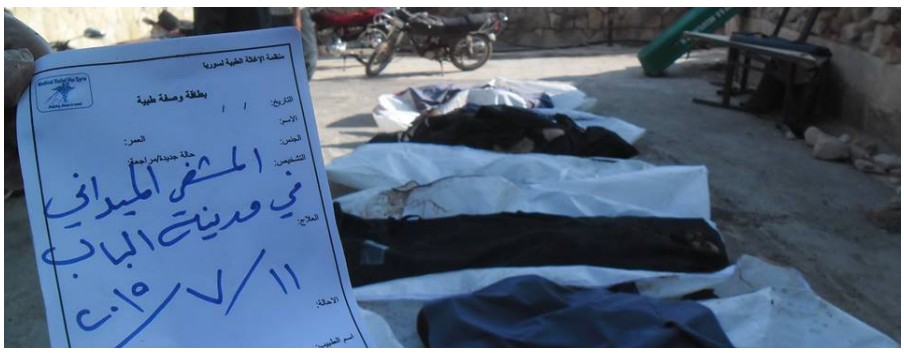

السلاح.. إلى أين؟

حسين جرود

قال رأس النظام منذ الخطاب الأول في الشهر الثالث من عام 2011 أمام مجلس الشعب، بأن سوريا فيها ستون ألف إرهابي. علما بأنه لم يكن هناك أية مجموعات اسلامية ناهيك عن داعش والنصرة وغيرها، ولم يكن هناك انشقاق لأي عسكري من الجيش السوري. ولكنه كان يخبر الشعب السوري بنيته إدخال الإرهابيين إلى البلد. وهذا ما كان، وقد أنجز الكثير من المثقفين (البعض بحسن نية) و (البعض بخبث ودهاء) هذه الرؤيا. أما الشعب الذي أنتفض باحتجاجات ومطالب بالحرية والمساواة والعدالة فلم تنطلي عليه هذه اللعبة القذرة بمضمونها و أشخاصها. يقول العميد الركن المنشق مصطفى الشيخ في حوار أجرته معه «صدى الشام منذ شهر:

لماذا ومنذ أربع سنوات لم تنتصروا وأنتم تهتفون للّه ورسوله؟ وهل برأيكم أن الشعب السوري حين ثار طالب بالخلافة على منهج النبوة؟ الجميع يذكر ما سمعه منذ الأسابيع الأولى للثورة، من تصريحات بثينة شعبان التي تحدثت فيها عن امارات سلفية وتطرف. لقد التقيت بأحد الخارجين من سجون النظام، وسألته لماذا أخرجكم النظام من السجن؟ قال: الأمر واضح، لأسلمة الثورة».

هجرة متبادلة

بينما يخاطر الشاب السوري بحياته، ويخوض رحلة طويلة يعبر خلالها البحار والغابات. مؤملاً نفسه الوصول إلى إحدى دول أوروبا الغربية، فيبدأ حياة جديدة هادئة ومثمرة في تلك البلاد المتحضرة، هاربا بنفسه عن المشهد العبثي القاتم الذي ترزح البلاد تحت وطأته منذ سنوات. نجد مجاهدين من مختلف أنحاء العالم يأتون لنصرة الشعب السوري بإرادتهم، ومن عواصم ومدن أوروبية هامة، والغريب بالأمر أنهم يتركون بلادهم وأهلهم، ويمضون نحو دولة الخلافة، التي تهجر الأهالي وتقتل النشطاء وتكبت الحريات في مناطق سيطرتها. فإذا كان الغريب يُجذب بهذا الشكل القوي، فما بالك بالمواطن السوري الذي يتعرض لكل أشكال الرعب والقتل، ولديه ألف سبب للإرهاب والانتقام.

يقول الناشط يسار باريش: «إن المنضمين لتنظيم الدولة غالباً من فئة المراهقين والمليئين بعنفوان الشباب، وهناك من يحمل اضطرابات نفسية يحقق له التنظيم توازن من وجهة نظره، كما أننا لا ننسى تمكن هكذا تنظيمات من تقديم معطيات الجذب لمن يرغب بقتال النظام بدافع نبيل، وهذا يعيد الى أذهاننا فرض النظام السوري وايران للمقاومة عن طريق حزب اللّه كفصيل حصري، وتصفية كل من عارضه من المقاومة الوطنية. ورغم ان الحزب مر بحالة خلل في الانتماء لكنه استطاع أن يغرس فكره بشكل متجذر حتى لدى أصحاب النوايا الحسنة المضطرين للقبول بقتال اسرائيل من خلاله».

كلما توغلنا زمنياً بعد خدش القشرة الخارجية والحد الفاصل الذي يعبره الشاب في لحظة معينة، تتعقد العلاقة بين العنصر والتنظيم، ونجد أن هناك نوعاً من التنظيمات لها فكرها الخاص الذي تريد بثه بين الناس حيث تطبع العناصر بصفاتها على المدى الطويل. كما أننا نجد بعض الشباب الصغار –ومن بداية انضمامهم- أكثر التزاما بالمفاهيم التي تطرحها تلك التنظيمات، وأكثر تشددا ممن أمضى عمره في ساحات القتال. فإذا تركنا الحماسة وعامل الجذب وجدنا عامل التأثير هو الأخطر.

وقد أكد باريش: «هكذا تنظيمات لا تترك شيء للصدفة بل تسعى لتوريط العنصر وصبغه من حيث لا يدري بصبغتها، وهنا يجدر التنويه أن القسم النظيف بعد فترة من الزمن سيحمل النقيضين (الضحية والجاني)».

من السلمية إلى السلاح

إن من أخطر الأمور التي تعيق تقدم مسيرة العمل العسكري هو روح التحزب للجماعة أو الفصيل أو الأشخاص أو الرايات أو التيار، وقد تعددت الخطط والوسائل المتبعة في سبيل هدف واحد حتى بات الهدف بعيداً وأمسى الوضع قاحلاً، ولم يتأقلم الشعب السوري حتى الآن مع فكرة تعدد الرايات والأعلام فطالما أن الهدف واحد لماذا يبدأ كل فصيل بوضع علمه وفكره وخططه قبل اسقاط النظام. وقد نصب أمراء الحرب انفسهم أوصياء على إرادة الشعب والأمة مستفيدين من التجاذبات الاقليمية.

يقول الكاتب عبد الرحمن حلاق: « أذكر في بداية اللجوء للسلاح حواراً دار بيني وبين أحد الضباط المنشقين في جبل الزاوية. كنت أقول له أن بعض الداعمين الإسلاميين في الكويت يشترطون رفع راية إسلامية، فقال لي بالحرف: يا أخي الناس عبتموت من الحاجة خلهم يرسلون لنا الدعم، ونرفع لهم الراية التي يريدون، وبعد إسقاط النظام لكل حادث حديث». مضيفاً: أنا مؤمن تماماً أنه بعد سقوط النظام ستتساقط هذه الفصائل الإسلامية المتشددة الواحدة تلو الأخرى لأن طبيعة الشعب في سورية لا تحتمل ذلك.

مخاوف

الجانب المخيف بالموضوع أن تطول الأزمة سنوات طويلة بحيث يتمكن هؤلاء الجهاديين من تنشئة جيل منفصل عما سبقه، جيل يتأقلم مع هذا الواقع ويفتقد لمقومات الحياة المدنية. وهنا تبرز الحاجة الملحة لعمل الشباب المدني اليوم لتربية جيل يقابل الجيل الجهادي. دور المدرسة مهم جداً، ودور المثقفين من الشباب في توعية النشء مهم جداً، عبر مراكز ثقافية ونشاطات ثقافية وفنية وأدبية.

يستمر تنظيم الدولة بفرض التجنيد والإجباري كما يقوم بتجنيد الأطفال، ويستمر مسلسل القمع والكبت في أنحاء سوريا مرة باسم النظام ومرة باسم التنظيم، بينما نجد قوة الشعب الحقيقية المدنية معطلة بفعل استمرارية القصف والقتل.

عندما يأمن الشعب على نفسه من القتل سيعود للشارع بكل ثقله. لكنه الآن الشعب يرزح الآن تحت براميل النظام والظروف الاقتصادية السيئة، ويضيق الخناق على الشعب فلا عجب أن يذهب بعض الشباب إلى أوروبا، والسؤال هل تخلوا عن دورهم أم حرموا منه؟.

أبناء اللاجئين السوريين الجدد على دروب التفوق

حقق الكثير من أبناء السوريين من اللاجئين والمهاجرين الجدد إلى ألمانيا نتائج مذهلة في المدارس، بعد فترة قصيرة نسبياً من وصولهم إلى ألمانيا. تُرى ما هي أسباب هذا التفوق؟ وما هي الفرص التي يتيحها لهم؟

هنا تحضيرات عائلة الزعبي قائمة على قدم وساق: صنع قُبَّعَات النجاح، تجهيز الأطفال، ارتداء ملابس أنيقة، شراء بطيخ وماء. الوجهة هي حفل نهاية العام الدراسي لمدرسة "جلوك أوف" في مدينة فريتال في شرق ألمانيا. بزغ نجم الطفلة يارا منذ أن وطئت قدماها المدرسة. واليوم بعد وصولها إلى ألمانيا بسنتين، نجحت بتفوق إلى الصف الخامس. عن هذا النجاح يقول الدكتور السوري- الألماني عيسى المنصور، مدير مركز الإرشاد النفسي والمدرسي في مديرية تربية منطقة وسط برلين: "الملفت في موضوع يارا أنها خلال سنتين تعلمت اللغة وتفوقت بحيث دخلت إلى المدرسة التجهيزيةGymanisum، والتي عادة ما يدخلها التلاميذ بعد الصف الخامس، إذا كان تحصيلهم الدراسي جيداً أو ممتازاً".

طبقة وسطى فما فوق

ليست التلميذة يارا الزعبي استثناءً، فقد أورد تلفزيون ولاية براندنبورغ في تقرير أن الطالبة السورية نور ياسين قصاب أنهت الثانوية بتفوق بمعدل 1,0. وكانت الطالبة عند وصولها إلى ألمانيا قبل ثلاث سنوات لا تعرف أي كلمة ألمانية. وقد منحتها شركة PCK-Raffinerie جائزة الأداء المتميز في العلوم الطبيعية. تنحدر نور وأخوها الأصغر من عائلة متعلمة؛ فوالدها طبيب وكان مدرساً جامعياً في سوريا، ووالدتها طبيبة. "هذه الحالات من التفوق ليست نادرة ولكنها أيضاً لا تصادفنا يومياً. إحصائياً تعادل 1إلى 2 بالمئة من التلاميذ"، يقول الدكتور المنصور.

وصل المهندس ماجد حزاني وزوجته المعلمة رنا خلف وابنهما أحمد إلى مدينة باد هرتزبورغ في ولاية سكسونيا السفلى قبل أكثر من سنة. "عند وصولنا كان همنا الأكبر كيفية جعل ابننا يتأقلم مع المجتمع الألماني، فقمنا بتسجيله في المدرسة بعد وصولنا بعشرة أيام، وباشرت أنا بتعلم اللغة"، يقول والد أحمد. بعد وصول أحمد بحوالي تسعة أشهر فاز أحمد، ذو السبعة أعوام، بلقب "قيصر القراءة" في مسابقة شارك فيها حوالي 100 طفل. نجح أحمد بقراءة عشر قصص للأطفال والإجابة على أسئلة لقياس مدى استيعابه. "قمنا بتشجيعه ومتابعته في قراءة القصص وبالتواصل المستمر مع جميع النشاطات المدرسية والفعاليات الخاصة به"، يعلق المهندس ماجد على جهودهم في دعم ابنهم في المسابقة. ببراءة الأطفال يقول أحمد، الذي يريد أن يصبح مهندساً معمارياً: "أشعر بالسعادة لأن عمي مرهف أهداني ألعاب ليغو بعد الفوز".

قل لي من تصادق، أقل لك من أنت

توفر لأحمد ونور زملاء ألمان كانوا لهما عوناً في تلمس أولى خطواتهما هنا. عن بدايتها في المدرسة تقول نور: "كنت خجولة وخائفة من التحدث بالألمانية، لكن صديقتيّ جوزفين وإنكا ماريا أجبرتاني على التحدث بالألمانية. بدونهما لم أكن أستطيع تحقيق هذا النجاح". حصلت إنكا ماريا هوبرت وجوزفين ستارقارد على نفس علامة نور. ستواصل نور وإنكا ماريا طريقهما معاً لدراسة الطب، أما جوزفين فتريد أن تصبح معلمة وقد بدأت بتعلم اللغة العربية.

لكي لا يبقى جالساً وحيداً، جلس باول بجانب أحمد في الصف. منذ ذلك الحين انعقدت بينهما أواصر صداقة عميقة. "أحب باول جدا لأنه صديقي ونلعب دائما معاً"، يعبر أحمد عن مشاعره الطفولية. "كان باول يساعده في الصف بكافة الطرق لتوصيل المعلومة وللتواصل مع بقية الأولاد"، يقول والد أحمد. أخذت سابينا ديبر، والدة باول، بيدهما وسجلتهما في مسابقة القراءة، وكذلك في "عدة نشاطات مثل كرة اليد والمسبح ومدرسة الموسيقى، وذلك ليتأقلم وينغمس في المجتمع الألماني"، يضيف والد أحمد.

مدارس نموذجية ومؤسسات مساندة

توفرت ليارا ونور وأحمد ظروف مدرسية ومؤسسات أخرى ساعدتهم على شق طريقهم إلى التفوق. تقول إنكا ماريا: "حقيقة أن نور أجنبية ومحجبة لم يزعج أحداً من الزملاء والعاملين في المدرسة". وعن جو المدرسة تقول نور: "ساعدني نفسياً أن الكثيرين كانوا لطفاء، فقد كانوا يبتسمون ويحاولون التحدث بلغة بسيطة". أما مديرة المدرسة، كارلا بوخ هولتز، فقد عبرت عن "فخرها بنور وصديقتيها". وكبادرة معنوية لرد المعروف، وجهت عائلة نور "رسالة شكر" إلى "المدرسة بجميع العاملين فيها على جهودهم، وكذلك للطلاب وخصوصا إنكا ماريا وجوزفين".

يقول ديتلف ليسون، مدير مكتبة باد هارتزبورغ، إن "فكرة المسابقة أتت من حقيقة أن أطفال اليوم لم يعودوا يهتمون بالقراءة. فالمسابقة تهدف لتشجيعهم على القراءة وبطريقة فيها بعض اللعب أيضاً". وقد استحق أحمد وزملاؤه لقب "قياصرة القراءة" على الكثير من الثناء وبعض الهدايا، وعلى دعوة لحضور حفل يحييه ساحر شهير. توجهنا بالسؤال للدكتور المنصور عن عوامل التفوق، فأجاب: "التحصيل الدراسي هو محصلة تضافر ثلاثة عوامل: القدرات العقلية، والرغبة، والسماح له من قبل المحيط بفعل ما هو قادر على فعله".

خطوة على طريق الاندماج

يبقى موضوع اندماج الأطفال والعائلة المهاجرة مؤرقاً للسلطات الألمانية ويحتل مركزا عاليا على سلم الأجندات الداخلية للحكومة. تقول سابينا ديبر: "تكتسب مسابقة القراءة أهمية خاصة بالنسبة للتلاميذ من ذوي الخلفيات المهاجرة. حيث يوسع الأطفال مخزونهم اللغوي دون أن يشعروا بأنهم في صدد عملية تعليم.

وبذلك يستطيع أحمد متابعة الدروس والتحدث مع زملائه بسهولة أكبر. كما يظهر هذا الفوز الفرص العديدة للاندماج. مهمتنا كمضيفين أن نقدم هذه الفرص للاجئين، ويبقى عليهم استغلالها".يؤيدها ليسون ويضيف: "تعلم اللغة شرط أساسي للاندماج؛ بالنسبة لأحمد تعلمها حاسم لنجاحه في المدرسة، وربما يساعد ذلك والديه في تعلم اللغة".

وعلى نفس المنوال يضيف الدكتور المنصور: "يمهد التفوق الدراسي الطريق إلى مستقبل أفضل وفرص عمل أفضل في المجتمع الغريب، مما يؤدي إلى الاندماج ومن الممكن تسهيل اندماج ذويه. بالنسبة لنور سيسهل تفوقها اندماجها، إن توفرت لها شروط في المحيط تدفعها الى مزيد من النجاح. أما بالنسبة لأحمد ويارا فهو أساس جيد وخطوة في طريق الاندماج. الباقي يتعلق بالشروط، التي يمكن أن تتوفر لهم مستقبلاً".

مركز dw الاعلامي

ثقافة التخلّف وتخلّف الثقافة

أسعد شلاش

تعتبر الثقافة بمفهومها المعرفيّ المحايد، وبما تنطوي عليه من نشاط إنسانيّ معقلن في المحسوس والمجرّد هي القيمة الأسمى التي أنتجها العقل البشريّ عبر تراكمات تجاربه العمليّة ومعارفه النظريّة خلال سفر أنسنته الطويل، ويكمن سموّها في توخّيها الموضوعيّة والحياد في تحليلها للظواهر التي تتصدّى لها والبحث عن مسبّباتها ومن ثمّ استخلاص العبر والنتائج المترتّبة عنها وإيجاد الحلول لها بما يتماشى مع تطوّر البشر وتحسين شروط عيشهم وتعايشهم وتخليصهم من كلّ ما يعيق مسيرة تطوّرهم وتحرّرهم من كلّ القيود المفروضة، إن كانت طبيعيّة أم بشريّة، بعيداً عن أيّة تحزّبات أو محسوبيّات.

لذلك فمن البداهة أن يكون الخوف من الثقافة بما لها من تأثير فاعل وراسخ على آليّات الفكر وهو ما يقضّ مضاجع الطغاة على مرّ العصور، وظلّ ديدنهم على مرّ العصور تسطيح الثقافة وقتل موضوعيّتها وحياديّتها وتجيّرها لخدمة أهدافهم، وهي أوّلاً وأخيراً التشبّث بالسلطة ولو على حثّ المواطنين جميعاً، وإن عجزوا فخنقها، وتسود ثقافة التخلّف الرخيصة والمبتذلة التي تسطّح كلّ المعارف التي أنتجها العقل البشريّ، إن كان في العلوم من سياسية واقتصاد واجتماع، أو في الفنون قاطبة ويكون الناتج هو إفساد وهدم القيم الأخلاقيّة والإنسانيّة، فيصبح الطاغية الطاعن في تخلّفه والنخرة عظامه بداء عظمته أباً وقائداً ملهماً وحكيماً برقَ به الزمان في غفلة منه.

ويتسابق المتثاقفون المنافقون النافقون الذمّة والضمير ممّن يعتاشون على فتات وفضلات موائد الطغاة في أسطرة كلّ حركة أو كلمة يجود بها حكيم الزمان وتزدان الشوارع والساحة والغابات وحتّى المساجد باسمه وأسماء عائلته، وتزدحم سجلّات النفوس بمواليد تشرّفوا بحمل اسمه أو أيّ من أسماء عائلته العتيدة، وفي نكتة سمجة وبين ليلة وضحاها تصبح قرينته السيّدة الأولى ويتسابق رجالات لصوص المقدّس راضين أو مرغمين على الدعاء له بطول العمر وعرضه، والنصر المؤزّر على الأعداء المتآمرين على الأمّة والوطن، إن كان في خارجه أو داخله، شاكرين الله أن اجتباهم من بين البشر ليرفلوا بالعيش في حقبة تاريخيّة اجتبى الله سيادته ليخطّها بحكمته ويعيد لهذه الأمّة أمجادها التي خانها الخائن والعميل الذي تسلّط قبله.

وبناء عليه وفي إسقاط تاريخيّ مسخة ومسخرة، يجدّد له عموم شعبه البيعة بالدم في عرس وطنيّ بفواتير مفتوحة يعرس فيه الأب على السلطة وللأبد، ويغيب في السجون من باح بحلمه عن موت سيادته وبقلب للمفاهيم وتزيف للوقائع تصبح دكتاتوريّته مدرسة للديموقراطيّة، ويسوّق الخضوع والذل والعبوديّة لأوامره على أنّه أرقى أشكال الحريّة، وتصبح القِوادة السياسيّة وما يتبعها من ارتزاق وتكسّب على حساب عرق ودمّ السواد الأعظم مهنة للكثيرين، ويعتلي القوّادون مراتب قياديّة في أغلب مفاصل الدولة، وتُنهب ثروات البلاد من قبل قلّة قليلة على رأسهم القائد اللصّ وأقرباؤه والأعوان، وتذهب للبنوك الأوربيّة ويفقّر العباد تارة لمحاربة عدوّ خارجيّ يتربّص بمقدّسات الأمّة المتجسّدة في شخص سيادته، وأخرى في إقامة مشاريع عادة ما يكون جلّها خاسراً بسبب المحسوبيّات والفساد الذي يغدو بدوره من طبائع الأمور وفهلويّة لا غبار عليها، ويصبح الوطن مزرعة ومواطنوه عبيداً، يأتمرون بأوامره ويتكرّم عليهم القائد بالهبات والأعطيات في الأعياد والمناسبات، ويكدح غالبيّة المواطنين ليلاً نهاراً ليؤمّنوا قوت عيالهم وتغلق أبواب العمل في وجه الكثير من الشباب، فترتفع نسبة البطالة ويضطرّ الكثيرون لمغادرة البلاد ضاربين في مغارب الأرض وشمالها، وقلّة منهم في جنوبها وشرقها بحثاً عن الرزق، ويعتري من تبقّى الإحباط واليأس فيسلك البعض طريق الرزيلة التي تقوده إلى المخدّرات بكلّ أنواعها وإلى الدعارة وتنجب القِوادة السياسيّة ما يشبهها جسديّاً، وتتفشّى الدعارة وتصبح مهنة للرزق والارتزاق، يُمتهن فيها الجسد والروح بمعرفة وتسهيل من أولياء الأمور، ويكون ردّ الفعل الطبيعيّ أن يدفع هذا اليأس لظهور حركات متطرّفة سماويّة وأرضيّة، وما بينهما هواء ساكن مشتّت خفيف، وتغدو الموالاة هي المعيار الأساس وتنكفئ الكفاءة والمهارات فيصبح المهرّج الرخيص فنّاناً والدجّال الأفّاك فيلسوفاً والديك أبو الفنّ وجدّه، والمشعوذ شيخاً ترتجى كرامته ويقبّل مريدوه رجليه، وتباع ملايين النسخ من صورة لشجرة قيل إنّها وجدت في ألمانيا شكّلت غصونها بشكل طبيعيّ اسم الذات الإلهيّة (اللّه)، ثمّ تنكشف الخدعة وهي أنّ الشجرة لوحة لفنّان مصريّ باع منها ملايين النسخ ويغيب ويُغيّب العقل ويصمت المثقّف المعترض والمعارض بنفيه أو اعتقاله، وتغيّبه في السجون وإن اقتضت المصلحة السفلى فتصفيته.

وبناء عليه تنهار المنظومة الأخلاقيّة في المجتمع ويهدر دم الثقافة، فتمسح دموعها وتتوارى في ثقب أسود وتنهار الدولة بمفهومها المدنيّ كدولة مواطنة وتغدو مجرّد عصابات مافيويّة تدوس على الدساتير والقوانين لتحقيق مآربها الشخصيّة بأبخس الطرق وأنذل الأساليب، وتسود شريعة الغاب وتضيع الحقوق فتتراجع انتماءات البشر إلى دوائرهم الضيّقة ويرتدون إلى ثقافة متخلّفة فضاؤها الأسرة أو القبيلة أو العشيرة، ويردّد الجميع سرّاً وعلانيّة: «وما أنا إلّا من غزيّة إن غوت غويت وإن ترشد غزيّة أرشد» وتتفشّى الأميّة ويعمل المدرّس أجيراً مياوماً عند طلّابه، والطبّ يصبح تجارة يموت فيها المرضى من الإهمال دونما حساب، ويغدو القضاء مؤسّسة فاسدة تبرّئ الجاني بأمر من الأجهزة الأمنيّة وتنتشر الخرافة فيساكن الجنّ الإنسان في ذاته ويستيقظ الذئب لينهش لحم ما حوله من ذئاب، وأمام هذا القهر، وفي لحظة تاريخيّة ينفجر الجميع في وجه تخلّف ثقافة الاستبداد باحثين عن ثقافة تعيد لهم حريّتهم وكرامتهم، وتكون الثورة هي القدر التاريخيّ للخروج من هذا الاستعصاء.

انفجارات "بوشار" ما بعد العبث

بشار فستق

يحاول «راهيم حسّـاوي»* أن يخلق فتحة في نفق النصّ المسرحيّ المسدود، فيقلب المعـادلات، كأن يبـادل الخشبة بالصالـة والممثّـل بالمتفرّج، ويجعل بينهما «شاشـة قمـاش صغيـرة، يظهـر عليهـا فلـم رديء ومملّ وصامت»**

يرصف «حسّـاوي» المنصّة المسـرحيّة بالكراسـي المرقّمـة ويحدّد لكلّ شـخصيّة كرسـيها الخاصّ، منتقياً أعمار الشخصيّات من الستّين وحتّى الطفل في حضن جدّته، ويضـع قياسـاً بالأمتار لأبعـاد المـكان، أمّا الزمان فهو غير محـدّد بدقّة، وإن كان زمن الفعل المسرحيّ مطابقاً للواقع.

الأداة المسـرحيّة (الأكسسـوار) الوحيدة لدينا هي «البوشـار» والتي تشـكّل وسـيلة تواصـل بيـن الشـخصيّات، وتلمّـح إلـى سـلوكها؛ يخاطـب الرجل السـتّينيّ صاحب الكرسيّ الملاصق له:

«رجـل الكرسـي 1/3: توقّـف عـن تناول البوشار، إنّك تثير سخطي

رجل الكرسي 1/4: لستُ أوّل شخص في العالم يأكل البوشار أثناء مشاهدة السينما»

ولا تخفى دلالة «البوشـار» كشـيء هشّ فارغ، وإنْ عنـون المؤلّف عمله بهذه الكلمة، فهذا تأكيـد على النظـرة «الكامويّة» (ألبير كامو)*** التي تربـط العبث بالتمرّد، فكلّما نشـأ خـطّ درامـيّ عن تطـوّر الحـدث وبدأ يتصاعد، سارع «حسّـاوي» إلى قطعه، ولن تجد ذروة لصراع إلّا وتتلاشى لحظة تشكّلها.

لذلـك يغـدو الحـوار تقاطعـاً لكلمات من صاحب كرسيّ برقم إلى آخر:

«رجل الكرسي 8/3: هذا فيلم صامت

رجل الكرسـي 1/3: ليـس صامتاً، خللٌ ما أصاب جهاز الصوت

رجل الكرسـي 1/4: لو كنتُ أعرف هذا لما جئتُ»

وتأتـي عناصر مثـل: التكـرار والغموض والصمـت فـي الحـوارات، لتؤكّـد الأسـلوب العبثـيّ (ABSURDE) المعـادل لسـلوك الشـخصيّات التائهـة والتي لا تملـك القدرة على الرؤية، والخالية من الهدف.

«شـابّة الكرسـي 5/2: لـن تجدنـي فـي الصـفّ الأوّل مـن الكراسـي، لا أحبّذها، لا يوجد أمامها مسـاند كراسـي كمـا الصفوف الأخرى، هكذا أنا مرتاحة في مشاهدة الفلم

رجـل الكرسـي 8/3: أيّ فيلـم تتحدّثون عنه، هناك مشاهد تتكرّر، تابعوا جيّداً، لقد شاهدتُ هذا المشهد مرّتين

شـابّ الكرسـي 3/1: ربّما فكـرة الفيلم هكذا!

امـرأة الكرسـي 3/6: أحسـنت، فكرتـك مدهشة، ربّما فكرة الفيلم هكذا»

من هنا، لا يمكن تتبّع «الحتوتة» بالمعنى الكلاسـيكيّ لسـردها واسـتخلاص مقولة، فنحـن أمـام مجموعة بشـريّة لا صلة بينها سوى تشاركها في مشـاهدة شاشة، وتناول بعضهـا «البوشـار» ثـمّ تغـادر القاعـة بلا صلـة. وحتّى لا يكتمل هذا الخـطّ – أيضاً - تبقى إحدى الشـخصيّات وهي: الشابّة 5/2 «تبدأ بتناول البوشار وهي تنظر نحو شاشة القماش المخصّصة للفيلم».

لغـة النصّ فصيحة وترتقـي عبر تكثيف الحـوار، ما يشـي برغبـة المؤلّف فـي قول ما يسـمو على الـدارج من جهـة الفكر، وبلا تفلسـف، لكـنّ مجمـل النـصّ مهنـدَس كلعبـة تُعـزل فيهـا الشـخصيّات، يأمـل القارئ من خلالها أن يتكشّـف له شـيء ما، يُخيّـب «حسّـاوي» ظنّ القـارئ، ولا يترك سـؤالاً مفتاحيّاً. ربّما أراد أن يترك لتجسـيد المسـرحيّة فيما بعـد، اقتراح مـرآى يُخرِج فيها حالة الكتابة من نفقها.

فـي احتمـال التجسـيد يمكننـا أن نـدع الممثّلين الجدد يختارون فيلمهم ومقاعدهم، أو لا. أن يأكلوا «البوشار» أو لا. أن يكون لهم أسماء وألقاب وأمل قد يتحقّق أو لا.

عندها سيتحدّثون عن أيّامهم الحقيقيّة، ويبدو المشهد من «ما بعد العبث» وكأنّه أنا وأنت - من جديد - نواجه السؤال.

هوامش:

*راهيـم حسّـاوي (1980 -) كاتب مسـرحيّ سـوريّ، من مؤلّفاته: السـيّدة العانس (2010). الرخـام - الهيئـة العربيّـة للمسـرح بالشـارقة (2011). أنشـودة النقيـق - دار تالـة بدمشـق (2012). وله رواية: الشـاهدات رأساً على عقب - دار العين (2013)

** نُشـر النصّ علـى موقع «العربي الجديـد» 3 حزيران 2015 http://www.alaraby.co.uk/texts/2015/6/3/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%88%D8%B4%D8%A7%D8%B1 (ألبيـر كامـو Albert Kamus)*** (1913 - 1960) فيلسـوف وجوديّ وكاتب مسـرحيّ وروائيّ فرنسيّ – جزائريّ.

الفنّان عنايت عطّار
يرسم بالبقع اللّونيّة

عبد الرزاق كنجو

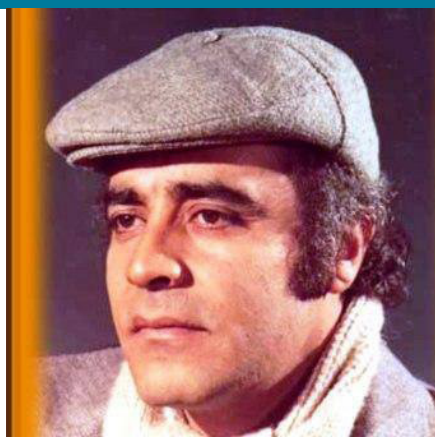

بعد ولادته في عفرين سنة 1948 لم تكن قد أقيمت الحواجز المتعددة الولاءات التي أصبحنا نشاهدها اليوم بين منطقة وأخرى في كافة الأراضي السوريّة. لذلك وجدنا الفنان اليافع عنايت عطار قد انتقل في سنوات عمره الأولى الى مدينة الرقة القريبة من مكان ولادته ليتابع دراسته وليعمل في المحافظة الحديثة البكر في مجال الفن وتزيين المحال التجارية وواجهاتها.

ولئن كان قد تعلم الرسم وتعلق به بشكل ذاتي ودون اللّجوء الى المعاهد والكليات الفنية المتخصصة فلقد وجدناه يتعلق بالبيئة المحيطة وبسعة مساحات سهولها وشواطئ فراتها. يتأمل فصولها الأربعة المتقلبة من جهة , وألوان ألبسة النسوة في تلك المناطق البدوية من جهة أخرى , حيث يغلب عليها الألوان الزاهية المشرقة كما إشراقات وصفاء نفوس أهلها.

راح يرسم مباشرة باللون دون استعمال الخطوط الأوّليّة في بناء اللوحة ,على خلاف معظم الفنانين في مرحلته الأولى مستعينا بإمتشاق وطول الجسم البشري في الجزيرة السورية وليكسيه أجمل الألوان وأنقاها.

وقد تكون مهنته التي بدأ بها مشواره الفني كتزيين واجهات مخازن الألبسة والأزياء النسائية أعطته خبرة في رصف الأجسام الفارعة حتى نشعر وكانه يرسم النساء في حفلات الأعراس المستمرة والمغمورة بالفرح شكلاً ولوناً وكانها كتل مرصوفة بألوان الفرح وأصوات الزغاريد.

وعندما كان عنايت عطار يهمل التفاصيل والجزئيات في لوحاته ولا يظهر فيها ملامح الوجوه أو الأيدي فإنما كان يهدف من ذلك , إشراك المشاهد في تذوّق أعماله. ويتيح له بأن يتصوّر ويتخيّل هذه الأعمال ويترجمها في ذهنه , مفسحاً المجال لمشاركة المتلقي في تذوق أعماله الفنيّة , وهو بذلك يتماشى بإنتاجه مع جميع من حوله , فكان يحرص بتواضعه على أن يستفيد هو من ملاحظات وتوجيه المهتمين الكبار , ويعطي في ذات الوقت ويضيف لما يحتاجه الصغار من المبتدئين.

وقد يكون مبعث ذلك كونه لم يدرس الفن في الجامعات المتخصصة والتي تولي بالبداية أهتماماً كبيراً بالتفاصيل الحركيّة والتشريحيّة لجسم الإنسان. بينما نجده قد اختزل كل ذلك بتكوين لوحاته من خلال بقع الألوان الشفافة والمتداخلة بعناية فائقة توصلنا لتكوين متوازن لعناصر اللوحة, دون ضيق أو خلل تاركاً متنفساً في فراغ وخلفية اللوحة التي غالباً مايُغنيها بالألوان المتماهية , بتوازن مدروس يمزج بين المضمون المحلي المتوارث , وبين المفاهيم الحديثة للأشكال والألوان.

وإن كان الفنان عنايت عطار قد غلبت على لوحاته تواجد المرأة بشكل لافت فذلك لقناعته وسعيه الدائم لإنعتاق المرأة الشرقية الفاضلة من التقاليد البالية وقيودها الإجتماعية المتخلفة , التي أبعدتها عن مواكبة الحضارة الإنسانية.

ولذلك قالها شعراً:

الأزرق للسماء. . والأخضر للجبال

والأصفر للسنابل. . والأحمر للمرأة.

لا. . لا أيّها الصديق , لقد أخطأتُ الترتيب والنسبة والدلالة.

بل. الأزرق والأصفر والأخضر والأحمر لها وحدها..

للمرأة التي أحب واعشق

وللمرأة التي أرسم وأتخيّل

لامسافات.. ولا حدود.

لاتقل لي: إنّ المرأة رمز للوطن أو البحر أو الكرامة أو للحب

لا أبداً أيها الصديق.

فالمرأة عندي هي البحر والوطن

والأفق والكرامة والحب والغيرة والحزن. . والجنون أيضا.

وقد امتزجت في سيمفونيّة لونية واحدة متكاملة ومتناغمة.

عندما يهاجر أمثالك يا عنايت عطار من وطنهم السوري الى فرنسا ليقيم فيها ويتجول بأعماله الفنيّة. . ويعرضها في شتى أنحاء الأرض. ..

عندها نقف بخجل مطأطئين الرؤوس حزناً عليك وألماً لخسارتنا لك

ولأننا لم نستطع أن نحتويك بقلوبنا.

ضحكة ظريف من على الشرفة في فيينا... والاحتفالات في شوارع طهران

اشتعل الجدل بين زوار مواقع التواصل الاجتماعي منذ أن تم الإعلان عن الاتفاق التاريخي بين الدول الغربية وإيران حول مشروعها النووي، فيما امتلأت التعليقات والتحليلات على شاشات الفضائيات ومواقع الصحف الإلكترونية. وأدلى الجميع تقريبا بدلوهم، وكان القاسم المشترك بين الجميع هو محاولة استقراء المستقبل عقب هذا الاتفاق خاصة في المنطقة العربية بدءا من مستقبل سوريا وحزب اللّه، مرورا باليمن وصولا الى أسعار النفط. وفيما يلي أبرز اللقطات التي لاحظتها «القدس العربي» من خلال متابعة هذه الوسائط:

ـ فور تناول الإفطار، نزل الايرانيون مساء أمس الى جادة ولي عصر، اطول شوارع طهران وهم يطلقون ابواق سياراتهم للاحتفال بالاتفاق حول الملف النووي.

ـ علق الداعية السعودي سلمان العودة على موقع «تويتر» للتواصل الاجتماعي «إيران تسير وفق رؤية واضحة مدروسة وتستوعب حتى خصومها.. فأين حكوماتنا العربية؟ وأين مشروعها البديل لمواجهة التحدي؟»

ـ اما السياسي اللبناني وليد جنبلاط فغرد قائلا «الاتفاق النووي ينهي العالم العربي الذي عرفناه سابقا في العراق وسوريا، والطريق اليه عبد بمئات آلاف القتلى والجرحى والمفقودين».

ـ الإعلامي في قناة «الجزيرة» علي الضفيري قال «سياسة خامنئي وروحاني وظريف معادية لنا، هذا شيء، والسخرية منهم شيء آخر، والأولى أن نسخر من الأجيال التي حكمتنا، جيلاً بعد جيل».

ـ امتلأت مواقع التواصل الاجتماعي بعشرات التدوينات التي تشير إلى أن الدول العربية انشغل أهلها بفتاوى بول البعير ورضاعة الكبير والتكفير والسبي والحرق وتخوين بعضهم البعض، بينما كان الإيرانيون يوجهون طاقات أمتهم نحو العلم والمعرفة وتحقيق نهضة شاملة جعلت الدول الكبرى تركع لهم وتستجيب لمفاوضيهم.

ـ تداولت وسائل إعلام وكتاب ضحكة وزير الخارجية الإيراني من على شرفة غرفته في الفندق الذي تجري فيه المحادثات في فيينا. وقال الكاتب الإسرائيلي بوعز بسموت «كان يكفي رؤية الوجه الضاحك لوزير الخارجية الإيراني ظريف على شرفة الفندق الذي تجري فيه المحادثات في فيينا من أجل معرفة من الذي انتصر هناك».

ـ قال الكاتب السعودي مهنا الحبيل «إن إيران ستزيد صادراتها النفطية 60 ٪ خلال عام من توقيع الاتفاق ماذا عن نفوذها وتمددها في المنطقة كم سيزيد».

ـ قال الكاتب دكتور زياد بن سند « بعد #الاتفاق_النووي_الإيراني سيتم رفع التجميد من على حسابات بنكية خاصة بـ #إيران تحتوي ما لا يقل عن 150 مليار دولار».

ـ الكاتب محمد الأحمري قال «#الاتفاق_النووي_الإيراني تحول هائل بين الغرب وإيران سيكون مفيدا لأطرافه، الإفراج عن الأموال الإيرانية دخول نفط إيران للسوق فرص لشركات غربية».

ـ الإعلامي الفلسطيني إبراهيم خضرة قال «كل فضائية عربية إخبارية تتناول #الاتفاق_النووي بين #إيران والغرب تبعا لأجندتها السياسية.. زوايا متباعدة جدا ومنحرفة عن الحقيقة في التغطية».

«القدس العربي»

احمد المصري وسليمان حاج إبراهيم

عطر زيتون

...and they lived happily ever after
Hassan Rouhani
Geneva Fairy Tales

الشيطان الأكبر
الصديق